كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف في اليوم المخصّص للأبحاث الجامعيّة في جامعة القدّيس يوسف، يوم الإثنين الواقع فيه ٣٠ حزيران (يونيو) ٢٠١٤

اسمحوا لي أن أعبّر عن شكري للواتي والذين نظّموا هذا اليوم المخصّص للأبحاث في جامعتنا، وقد تبيّن، وفقًا لجدول الأعمال، أنّه غنيّ جدًّا ومليء بالوعود. لن أتردّد أن أشكر مرّة أخرى جميع "المتخصّصين" الذين أولوا اهتمامًا كبيرًا خلال العام الماضي لوضع البحث العلميّ في جامعتنا، من خلال اكتشاف الظلال والأضواء التي يتضمّنها والتي تشكّل بالنسبة إلينا مصادر للتحفيز والطاقات المتجدّدة. في الأشهر الأخيرة، إقترح نائب رئيس الجامعة للأبحاث سلسلة من التدابير التي تشكّل خطّة تشمل السنوات الأربع القادمة من أجل تفعيل ولا سيّما من أجل إضفاء الطابع المؤسّسي للبحوث وهياكلها.

لا يمكننا فصل هذا الهاجس العمليّ المتمثّل بتوسيع نظرتنا للأبحاث عن التشريعات اللبنانيّة الجديدة التي تحتّم ما يلزم من ترتيبات في مجال إجراء البحوث وما يختصّ بأعداد حملة الدكتوراه لكي تكون الجامعة مُعتمدة ويكون لها مكان بين الجامعات المُعتَرَف بها.

بالرجوع إلى وضع المعلّم الباحث، ومراعاةً لسياسة إعطاء الأبحاث المكان الذي تستحقّه في جامعتنا، وهذا ليس جديدًا من حيث الموارد البشريّة والماديّة المؤمّنة بالفعل، أودّ أن أتوقّف لبضع دقائق في فترة بعد الظهر هذه من هذا اليوم المخصّص للأبحاث بغية إعطاء بعض التوجيهات في هذا المجال :

١) تؤكّد جامعة القدّيس يوسف أنّ المعلّم المُثبّت سيصبح معلّمًا باحثًا إعتبارًا من شهر أيلول (سبتمبر) المقبل، وذلك بنسبة ٣٠ في المئة من دوامه الكامل وهو على بيّنة من الوضع الذي يتراوح بين الاعتدال والتغيير. الواقع قائم ولا يجب أن نقول العكس : أكثر من ٠٠٠، ١٥٠ ساعة إضافيّة سنويًّا تزيد من الحصّة الممنوحة للبحث والابتكار. يمكن للمدرّسين الشباب الراغبين في دخول حلقة الدكتوراه تكريس هذه النسبة من أجل كتابة أطروحتهم في الدكتوراه التي تُعتبَر نتيجة بحث حقيقيّ يندرج ضمن اختصاصهم. هدفنا هو تعزيز إدارة هيئة من المعلّمين البحّاثة الذين سوف يبعثون إشعاعًا لجامعة القدّيس يوسف على الساحة اللبنانيّة والدوليّة، ولدينا أمثلة في هذا المجال. يجب علينا ألا ننسى أنّ وضع المعلّم الباحث لا يحدّد كلّ إشكاليّة إشراكهم في البحث وأنّ ضرورة الإعداد لوضع الباحث الأكاديمي في جامعة القدّيس

يوسف أصبحت واجبًا إلزاميًّا، فكثر هم الذين يعملون في مراكز للأبحاث من دون أن يكونوا معلّمين باحثين.

٢) من أجل تنفيذ وإظهار دعمٍ العمل البحثي بطريقة أفضل، هل هناك أفضل من الكليّات الجامعيّة نفسها يمكنها أن تأخذ على عاتقها مهمّة برمجة ومرافقة وتقييم عمل الباحث الفردي ونتائجه وكذلك الأمر عمل الهياكل ؟ ولهذا السبب يُطرَح السؤال الملحّ التالي : هل جميع الكليّات مهيّأة وعلى استعداد لهذا الاحتمال ؟ من الواضح أنّ لجان الأحرام ومجلس البحوث يمكنها أن تلعب دورًا، فتقوم اللجان بالتحقّق من البحث ويقوم المجلس بدور الدعم المادي والمالي والتنسيق وتقديم المقترحات. والأمر متروك للمؤسّسات لتطوير محاورها الاستراتيجيّة التي يجب أن تكون مشتركة بين مختلف الباحثين المثبّتين الذين يكوّنون هيكلها.

٣) لقد قلتُ لتوّي كلمة عن دور مجلس البحوث وهو ليس فقط بنية رئاسيّة جامعيّة حتّى لو كان رئيس الجامعة هو رئيس هذا المجلس وهناك نائب للرئيس يدير شؤونه. هذا مجلس من شأنه أن يمثّل في المقام الأوّل جميع المشاركين في اللأبحاث. تمّ تنظيم أربعة إجتماعات خلال العام، إجتماعين لدراسة وتنفيذ المشاريع المقدّمة إليه واجتماعين آخرين للنظر في جميع المسائل التي ليست ماليّة بحتة. في الواقع، سيكون مجلس البحوث، في الطريقتين التي يعمل بهما، شاهدًا بالنسبة إلى جامعة القدّيس يوسف أنّ البحث ليس أسوأ الاحتمالات أو أجودها لأولئك الذين ليسوا كفوءين في التعليم. بالتعاون مع الكليّات، سوف يعمل المجلس أكثر فأكثر لتلبية احتياجاتها ومساعدتها على تنفيذ السياسة التي اختارتها.

٤) الطلاب هم الفاعلون الحقيقيّون للبحوث ؛ منذ السنة الأولى في جامعة القدّيس يوسف، سوف يواجه الطلاب واقع البحوث وسوف يُطلَب منهم القيام بدراسات معمّقة حول قضايا ومسائل هامّة. في اليوم المخصّص للبحوث في إحدى الجامعات في الولايات المتّحدة، رأيتُ أنّ الطلاب كانوا محور معظم النهار وأنّ البرنامج كان قائمًا على عاتقهم مع مداخلة لكلّ واحد مُرفقة بوجهة نظر الأستاذ المشرف على البحث. ولا تتردّد جامعات أخرى في إرسال طلاب يمثّلونها في المؤتمرات الدوليّة، عندما تسنح الفرصة. من الواضح أنّ أحد التزامات المعلّمين الباحثين يكمن في أن يكون للطالب مساهمة وخاصّة طالب الدكتوراه تؤدّي به إلى برّ الأمان، وبالتالي إعداد أجيال جديدة من الباحثين في جامعة القدّيس يوسف.

٥) هذه الإشارة إلى المكانة المتميّزة التي يتمتّع بها الطالب تحثّنا للتكلّم عن الهياكل الحاليّة التي لا بدّ للبعض منها، في فترة إنتقاليّة، أن تُظهِر نشاطاتها حتّى تستحقّ استمراريّتها. في سياسة للتفكير جديدة، يمكن لمجلس البحوث أن يساعد الهياكل على تقييم نفسها وتطويرها. من ناحية أخرى، سوف يساعد تعزيز الهياكل الكليّات في ترجمة سياساتها في الواقع وفي اعتماد أدوات فعّالة لدعم التعليم بالنتائج والأساليب ومنهجيّات البحث العلمي.

٦) لا يمكننا أن ننجح في سياستنا الجديدة إن لم تتمّ استراتيجيّة دعم خارجي في هذا المجال ؛ وبناءً عليه يجب علينا الاعتماد أكثر فأكثر على الشركات المحليّة لدينا، ولكن نظرًا لحجمها وميزانيّاتها المخصّصة للبحوث، سوف نحتاج لتطوير استراتيجيّة نداء لجمع التبرّعات من العالم العربي وأوروبا وفي بلورة مواضيع منسّقة تنسيقًا جيّدًا وملائمة. من الجدير بالذكر أنّ هذه الإرادة بجعل جامعة القدّيس يوسف جامعة بحثيّة تتطلّب مبالغ وميزانيّات كبيرة هي في جزءٍ كبير منها معتمدة من مورد مادي واحد هو أقساط الطلاب الدراسيّة، من هنا، أمام ميزانية عامّة ٢٥ في المائة منها مخصّص للبحوث، يصبح من الضروري الاستعانة بمشاريع دعمٍ خارجي.

في الواقع، قائمة من المسائل المعلّقة أو التي سيتمّ التفكير بها عديدة وتؤثّر تأثيرًا كبيرًا على المكان الاستراتيجي للبحث العلمي والأساسي والتطبيقي كإقامة علاقات جيّدة ومستمرّة في مستشفى أوتيل ديو دو فرانس HDF. لا أستطيع أن أقول اليوم إنّ المركز الجديد للتميّز، وهو القطب التكنولوجي الخاص بالصحّة PTS، الذي دخل اليوم في الديناميّة الإنتاجيّة لا يزال بعيدًا عن الوصول إلى أقصى نشاطه. مرّة أخرى، أودّ أن أدعو أن يصبح هذا المركز أكثر فأكثر مكانًا يصبح فيه البحث العلمي فكرة مهيمنة وواجبًا ليس لروّاده فحسب ولكن لنا جميعًا أيضًا.

.

أودّ أن أنهي كلمتي بأمرٍ ينبغي أن يدعنا جميعًا نفكّر، وأريد أن أتحدّث هنا عن تقييم سير أعمال الباحثين. فمن الواضح أنّ التقييم، على المستوى الدولي، يشكّل عنصرًا أساسيًّا من عملية البحث نفسه. فلا بحث من دون تقييم ولكن أيضًا من دون علامات جيّدة وهياكل تقييميّة. لا يسعني هنا إلاّ أن أدعو

فقط أن تضع المؤسّسات هياكل مجدية، وكليّة الطبّ في جامعة القدّيس يوسف هي نموذج عملي يمكن أن نستلهم منه.

ليكن هذا اليوم لحظة حاسمة في سعي الجامعة لتحقيق رغبتها في أن يكون البحث دافعًا لنجاح رسالتها ولنجاح كلّ واحد منّا.